وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر-2 أبو القاسم سعد الله-

كلية العلوم الاجتماعية

نموذج الوثيقة البيداغوجية لتدعيم

منصة التعليم عن بعد

اسم ولقب الأستاذ: .....أسماء بلهادي.....
المقياس: .....مدارس ومناهج..... .....تطبيق.....

نوع الوثيقة: .....أعمال موجهة.....
الفئة المستهدفة من الطلبة: .....ليسانس.....
المستوى:.....سنة أولى جذع مشترك.....
الأفواج:..... 37 و 38 .....
تاريخ تسليم الوثيقة:.....2020/04/04.....

دروس السداسي الثاني

الموضوع الأول:

المنهج في علم التاريخ

مقدمة عامة:

أشهر المؤرخين اليونان :هيرودوت، ثيوسيديدس،/في الفترة الحديثة:ادوارد جيبون، ليوبولد فون رانكه/العودة إلى تأسيس المنهج التاريخي عند عبد الرحمن بن خلدون ومنهج الجرح والتعديل في تمحيص أراء وأخبار الرواة.

معطيات ومفاهيم أولية

ما هو علم التاريخ :

هو دراسة أحداث الماضي ومحاولة تحليلها وتفسيرها والربط بينها في سياقها الزماني والمكاني وتقديمها في شكل قصة منطقية مترابطة، وذلك بإتباع طريقة منهجية علمية.

تعريف ابن خلدون للتاريخ:

ابن خلدون في تعريف للتاريخ يفرق بين ظاهر و باطن أما ظاهر التاريخ لا يزيد عن أخبار و سرديات فقط أما باطن التاريخ فهو كما يقول : وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات و مبادئها دقيق و علم بكيفيات الوقائع و أسبابها عميق فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق".

علم التاريخ وفلسفة التاريخ

هناك فروق معروفة بين العلم والفلسفة، فإذا اعتبرنا التاريخ علما و نحن نعرف شروط و خصائص المعرفة العلمية فانه يصطنع منهج البحث العلمي المعتمد في العلوم الوضعية ، أما إذا اعتبرناه فلسفة فان فلسفة التاريخ هي النظر إلى الوقائع و

الأحـداث التاريخيـة فـي مجموعهـا نظـرة فلسـفية ترتفـع فـوق الزمـان و المكـان بغيـة الكشـف عـن العوامـل الأساسـية المحركـة للتـاريخ و اسـتنباط القـوانين العامـة التـي تتطـور بموجبهـا الأمـم و الـدول و الحضـارات ،لـذلك نجـد مـثلا فلاسـفة التـاريخ يبحثـون مثلا عن أسباب ازدهار واضمحلال و تدهور المجتمعات .

فائـــدة التاريـخ

-اسـتمرارية وتواصـلية المعرفـة و نقـل تراثهـا و تجـارب الإنسـانية عبـر الأجيـال مـن السلف إلى الخلف.

-التـاريخ مدرسـة يمكـن للبشـرية اللاحقـة اخـذ العبـر والحكـم مـن تجـارب مـن سـبقوها لتوجيه جهودها في مواجهة مصاعب الحياة.

التـاريخ لصـيق بكـل شـيء موجـود فلكـل شـيء تاريخـه لـذلك فـان التـاريخ كعلـم يصـبح ميدان لالتقاء العلوم و هذا ما يجعل دراسته مغرية.

المنـهج التاريـخي

يقـوم التـاريخ علـى أصـول والأصـول هـي الوثـائق بأنواعهـا، فلـيس التـاريخ غيـر اسـتثمار الوثـائق و بقـاء هـذه الأخيـرة أو ضـياعها يتوقـف فـي غالـب الأحيـان علـى الصـدفة التي لها دور حاسم في تشييد التاريخ.

تعريـف الوثائق

هـي كـل مـا يمكـن الاعتمـاد عليـه فـي كتابـة تـاريخ عصـر أو شخصـية أو حـادث أو حضارة...الخ وهي أنواع :

الوثـائق المكتوبـة علـى الحجـر أو الجلـد أو العظـام أو الـورق، قطـع المعـادن و العملـة و المسـكوكات و كـل مـا بقـي مـن العصـور الغـابرة مـن أثـار و أدوات مهمـا كانـت وظيفتها و نوعها.

خطوات المنهج التاريخي :

- تحديد مشكلة البحث
- صياغة الفروض
- تحديد مصادر جمع المعلومات حول الواقعة المراد دراستها.
- تحديد وحدة التحليل التاريخي كان يحدد الباحث فترة معينة و مكان معين.
- تحليل البيانات و الوثائق وإخضاعها للنقد الذي يعتبر خطوة حاسمة في الدراسة التاريخية.

النقد الداخلي والخارجي للوثيقة

يمر النقد على مستويين: المستوى الخارجي والمستوى الداخلي.

النقد الخارجي: يتمثل في ملاحظة الوثيقة جيدا من حيث الخط، نوعية الورق، الأسلوب، هل هي أصلية، هل تعرضت للتزوير...الخ.

النقد الباطني:

–ينطلق النقد الباطني من محاولة المؤرخ فهم مضمون الوثيقة ووضع يده على ما أراد مؤلفها قوله بالضبط و ليتبين المعنى الحرفي و الحقيقي للنص عليه الاستعانة ببعض العلوم كالفيلولوجيا وعلم اللغات.

–لفهم نص الوثيقة ينبغي على المؤرخ معرفة اللغة التي كتب بها وهذه تطرح إشكالا ،ذلك لان اللغة العادية هي لغة عائمة لها معان متعددة .لذلك على المؤرخ أن يجتهد في فهم اللغة المدروسة و يراعي السياقات التي وردت فيها ألفاظها.

– على المؤرخ أن يشك في مصداقية ما نقله المؤلف بل عليه أن يشك في المؤلف ذاته و يطرح بشأنه جملة من الأسئلة التي تختبر مدى صدقه فيما دونه من أخبار و معطيات .فيتساءل مثلا :هل كان مؤلف الوثيقة في ظرف من شانه أن يميل بالمرء عادة إلى عدم الأمانة؟،هل كانت له أغراض شخصية كان يتقرب من أهل الجاه والمال والسياسة، هل كان خصما أو معارضا لمن كتب حولهم؟...الخ

تحليـل النص

" إن التـاريخ يـتم بواسـطة الوثـائق، و إن الوثـائق هـي الآثـار التـي خلفتهـا الوقـائع الماضـية...إن الوقـائع لا يمكـن معرفتهـا تجريبيـا إلا بطـريقتين: إمـا مباشـرة إذا لوحظـت و هـي تحـدث، أو بطريقـة غيـر مباشـرة بدراسـة الآثـار التـي تركتها...والخاصـة المميّـزة للوقـائع التاريخيـة هـي أنهـا لا تـدرك مباشـرة بـل وفقـا لآثارهـا ولهـذا فـان المعرفـة التاريخيـة هـي بطبيعتهـا معرفـة غيـر مباشـرة و لهـذا السـبب ينبغـي أن يختلـف مـنهج علـم التـاريخ اختلافـا أساسـيا عـن مـنهج العلـوم المباشـرة اعنـي عـن منـاهج سـائر العلـوم...التي تعتمـد علـى الملاحظـة المباشـرة. وعلـم التـاريخ مهمـا قيـل فيـه لـيس علـم ملاحظـة و الوقـائع الماضـية لا نعرفهـا إلا بمـا بقـي لنـا مـن أثـار عنهـا. صـحيح إن المـؤرخ يلاحـظ هـذه الآثـار و تسـمى الوثـائق، يلاحظهـا مباشـرة لكنـه لـيس لديـه بعـد ذلـك مـا يلاحظـه بـل ابتـداءا مـن هـذه النقطـة يسـلك مسـلك الاسـتدلال محـاولا أن يسـتنتج الوقـائع مـن الآثـار الباقيـة علـى أصـح وجـه ممكـن فالوثيقـة هـي نقطـة الابتـداء و الواقعـة الماضـية هـي نقطـة الوصـول و بـين نقطـة الابتـداء هـذه و نقطـة الوصـول ينبغـي المـرور بسلسـلة مركبـة مـن الاسـتدلالات المرتبطـة بعضـها بـبعض فيهـا فـرص الخطـأ عديـدة ... يمكـن أن يفسـد كـل النتـائج و مـن هـذا يتبـيّن أن المـنهج التـاريخي آو غيـر المباشـر أدنـى مرتبـة مـن مـنهج الملاحظـة المباشـرة، لكـن لـيس أمـام المـؤرخ خيـار، فهـذا المـنهج التـاريخي هـو وحـده الموجـود للوصـول إلـى الحقـائق الماضية".

عبد الرحمن بدوي:النقد التاريخي، ص 43، 44

<u>إشكالية النص</u>: هل التاريخ علم بالمعنى الاصطلاحي لكلمة علم؟

هـل ترتقـي منهجيـة المـؤرخ إلـى مسـتوى المـنهج العلمـي بـالمعنى الاصـطلاحي للكلمة؟

<u>موقف صاحب النص</u>:

التاريخ ليس علما بالمعنى الاصطلاحي للكلمة

الحجج

-يعتمد المؤرخ في عمله على وثائق وضعها آخرون في ظروف مجهولة لتشهد على الوقائع من ثم فان المعرفة في التاريخ لا تكسب بطرق مباشرة كما في سائر العلوم الوضعية.لذلك لا يعد التاريخ علما من علوم الملاحظة بل هو علم يعتمد التأويل.

- الوقائع التاريخية التي تقدمها الوثائق لا تكفي أبدا لملا الإطارات ملا تاما و هي لا تقدم أجوبة مباشرة و كافية لكثير من المسائل و التساؤلات التي يمكن أن تطرح، و لهذا تظل هناك فراغات يضطر المؤرخ باجتهاده الخاص لملئها.

-البحث التاريخ يتضمن فرضيات تخمينية غير يقينية و غير قابلة للتحقق منها بشكل عام

-إن الدراسات التاريخية موضع تعديل مستمر إذ يتوقع أن تظهر في المستقبل وجهات نظر جديدة تفسر الوقائع الماضية على نحو جديد بسبب اكتشاف وقائع و أثار جديدة.

-آراء المؤرخين تختلف حول الموضوع الواحد و ان بعضهم ينقد البعض الأخر و هذا دليل على وجود العنصر الذاتي و الانحياز الأيديولوجي.

النقد:

هذه العوائق لا تحول دون الاعتراف بالجهود الجبارة التي يبذلها المؤرخون للارتقاء بالدراسات التاريخية إلى مستوى الدقة و الموضوعية والعلمية، وفي نقطة سابقة تعرفنا على خطوات المنهج العلمي وعملية النقد التي تصاحبها والتي لا يستغني عنها المؤرخ في عمله.

الموضوع الثاني:

المنهج في علم النفس : مدرسة التحليل النفسي الفرويدي نموذجا

معطيات ومفاهيم أولية:

نبذة مختصرة عن حياة سيغموند فرويد العلمية و العملية:

أهم الأحداث في حياته الفكرية و العملية:

1856: ولادة سيغموند فرويد في "فرايبورغ"، مقاطعة "مورافيا" بتشيكوسلوفاكيا، من والدين يهوديين، اضطرت عائلتيهما، نظرا لاضطهاد اليهود، إلى النزوح باتّجاه النمسا الجرمانية والإقامة في "فيينا".

1865: بداية المرحلة الثانوية في مدارس فيينا.

1873: الالتحاق بالجامعة واختيار الطب للدراسة تأثرا بنظرية **داروين** وببحث منسوب إلى **غوته** حول الطبيعة.

1874: يكتشف التعصّب المعادي للسامية.أستاذه في الجامعة كان برنتانو.

1876: الالتحاق بمخبر **ارنست بروك** الفسيولوجي.

1878: بداية صداقته **ببروير** والذي يكبره بأربعة عشر عاما والذي كان له فضل كبير عليه ماديا ومعنويا وعلميا.

1879: تابع دون حماس دروس الطب النفسي ولم يهتم إلا بالقسم المتعلق منها بمبحث الأعصاب.

1880: الانقطاع عن الدراسة لأداء الخدمة العسكرية.

1881: نيل شهادة الدكتوراه في الطب والعمل في حقل البحوث العصبية.

1882: العمل كطبيب للأمراض العصبية بالمستشفى العام بفيينا.

1885: الحصول على منحة دراسية فاختار باريس لدراسة التنويم والإيحاء على يد شاركو و برينهايم.

1886: زواجه من مارتا.

1889: السفر إلى نانسي بفرنسا .

1891: نشر كتابا عن **الافازيا** انتقد فيه النظرية السائدة عن موضعة العمليات النفسية في الدماغ.

1892: التعاون مع **بروير** وتجريب طريقة تداعي الأفكار مع مريضته **(إليزابيث فون ار)**

1895: نشر مع **بروير** كتابيهما دراسات في الهستيريا.

1896: قطيعته مع **بروير** ووفاة والده **جاكوب** فرويد. واستخدام تعبير التحليل النفسي بدل طريقة التطهير.

1897: فرويد يراجع أعماله ويحلّل نفسه فيكتشف مركب اوديب في الطفولة .

1898: إنهاء كتاب تفسير الأحلام الذي نشر بعد ذلك بعامين.

1907: زيارة **كارل غوستاف يونغ** لفرويد و بداية تعاونهما.

1908: التحضير للمؤتمر الدولي الأول للتحليل النفسي في **سالسبورغ**

1909:السفر إلى **الو.م.أ.** مع **يونغ** و**فرينزي** والحصول على الدكتوراه الفخرية من جامعة كلارك.

1911: القطيعة مع **الفرد ادلر** و فتور العلاقة مع **يونغ.**

1913: القطيعة مع **يونغ.**

1923: فرويد يصاب بسرطان في فكه السفلي و يجري أولى العمليات لاستئصاله.

1930: وفاة والدته عن 95 عاما.

1933: النازيون يحرقون مؤلفات فرويد في برلين.

1938: النازية تطارد فرويد فيترك النمسا ويرحل إلى لندن.

1939: وفاة سيغموند فرويد عن عمر يناهز الثالثة و الثمانون عاما([1]) .

اكتشاف التحليل النفسي منهجا ونظرية

- من التطهير إلى التحليل النفسي:

شكّلت بعض الأعراض المرضية، كالهستيريا والعصاب الوسواسي(*) لغزا محيّرا لم تستطع سيكولوجيا القرن التاسع عشر الإحاطة به، ولم تنجح النّزعة الفيزيولوجية التي كانت

[1]- اعتمدنا في ضبط أحداث هذه التواريخ على: فرويد (سيغموند)، حياتي والتحليل النفسي (مصدر سابق). و.مانوني، مذهب فرويد، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر 1996)ص7...14 وعكاشة (احمد)، فرويد، حياته وتحليله النفسي، ص ص77.76.75.

سائدة آنذاك، والتي ردّت المرض إلى أسباب عضوية، من احتواء الأعراض في منظومة مفاهيمها([1]).

تصدّى فرويد، تأثّرا بأبحاث جوزيف بروير(Joseph Breuer*)، لهذا النوع من الاضطرابات العقلية، مفترضا "أن المرض الذهني لا يردّ، أو على الأقل، لا يرّد دوما إلى...الاضطرابات الفيزيولوجية...على أن الشّيء النّفسي، من حيث هو محتوى للحياة المعاشة يكفي أحيانا لخلق المرض الذهني"([2]) من ثمّ فإن" مظاهر الهستيريا...تشمل على دلالات غير فيزيولوجية، أو قل هي نفسية."([3])

إن هذا الشيء النفسي، حسب فرويد، هو" قوّة ذاتية للحياة النفسية، لا تستطيع، إذا هي اضطربت، أن تثير اضطرابات نفسية فحسب، بل هي قادرة كذلك على إثارة مجموعة من الأعراض الجسمية والنفسية"([4])، وما يميّز هذه القوّة أنها" خافية عن شعور الناس"([5]). وهو

---

*-**الهستيريا والعصاب الوسواسي:** هما نوع من العصاب الذي هو اضطراب وظيفي غير مصحوب باختلال جوهري في إدراك الفرد للواقع، كما هو الحال في الأمراض الذّهانية، ويميّز التّحليل النفسي بين نوعين من الأعصبة : الأعصبة الفعلية...مثل النيروستانيا وعصاب القلق. والأعصبة النّفسية ...وأهمّها الهستيريا والعصاب الوسواسي. وقد بيّن فرويد أن الأعراض المميزة للأعصبة النفسية لا تدل على مجرد اختلال وظيفي...بل إنها ذات معنى ومن الممكن فهم الأمراض العصابية. " فرويد (سيغموند)، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة، سامي محمود علي و عبد السلام القفاش، دون طبعة (دون مكان النشر : مكتبة الأسرة دون تاريخ النشر) ص 140.

[1]- فوجيرولا (بيير)، الثورة الفرويدية، ص 162.

*- **جوزيف بروير**(1824 .1929): طبيب أعصاب فياني مشهور تعرف إليه فرويد و هو لا يزال في مختبر ارنست بروك الفيزيولوجي و نشأت بينهما صداقة علمية بحيث اشتركا في انجاز"بحث تمهيدي عن الميكانيزم النفسي للظواهر الهستيرية"1893.و "دراسات في الهستيريا"1895.غير أن خلافات جوهرية بينهما لم تتبين أسبابها أدت بهما إلى الانفصال و إن كان البعض يرجعها إلى رفض بروير التفسير الجنسي للأمراض العصابية و هو التفسير الذي ألح عليه فرويد. انظر : فرويد (سيغموند)، حياتي والتحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص35... وفرويد (سيغموند)، مساهمة في حركة التحليل النفسي، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر 1982)، ص10-11-12.

[2]- فوجيرولا (بيير)، الثورة الفرويدية، ص162.

[3]- المرجع نفسه، ص158.

[4]- فوجيرولا (بيير)، الثورة الفرويدية، ص 162.

[5]- المرجع نفسه، ص23.

ما جعل فرويد يفترض وجود" سيرورات نفسية لاشعورية"([1]). وما تلك الأعراض سوى نتاجا لهذه السّيرورات في حياة المرضى النفسية([2]).

إن البحث في الأمراض العصابية كان بمثابة التّربة الخصبة التي نبت فيها التحليل النفسي وترعرع. وفي هذا يقول فرويد:"العصاب الوسواسي والهستيريا شكلان عصابيان قدّما أوّل ركيزة...للتّحليل لنفسي وفي علاجهما أحرزت تقنيّتنا العلاجية أروع نجاحاتها"([3]). من هنا يمكن القول: إنّ " **نظرية العصابات** يجب أن ينظر إليها على أنّها **التّحليل النفسي** بذاته، و...أنّ مداواة الأمراض العقلية أو بعضا منها على الأقل يظلّ مركز الاهتمام الأول لدى فرويد، و**النقطة الرئيسية في الفرويدية.** وهذا يعني أيضا أنّ القضايا الأساسية في التّحليل النفسي قد وجدت أو ينبغي أن تجد تحقيقها في مجال الظواهر العصابية"([4]).

لا يمكن التغاضي عن الجهود التي بذلها أساتذة([*]) فرويد في ميدان الأمراض العصابية ونخصّ بالذكر جوزيف بروير، إذ يمكن القول إن الفترة التي قضاها فرويد بصحبته تعتبر، بحق، من أخصب الفترات وأشدّها تأثيرا في توجيه فكره. حتى إنّه يتعذّر علينا فهم تقنية التحليل النفسي دون الرجوع إلى تلك البدايات مع جوزيف بروير، وهذا بشهادة فرويد نفسه إذ يقول: "إن اكتشاف بروير لا يزال إلى اليوم أساس المعالجة التّحليلية النفسية"([5]).

ما هو، إذن، هذا الاكتشاف الذي سبق إليه بروير ويدين وجود التحليل النفسي إليه* ؟

---

[1]– فرويد(سيغموند)، النظرية العامة للأمراض العصابية، ترجمة جورج طرابيشي، دون طبعة،(بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، دون تاريخ) ص48.

[2]– المصدر نفسه، ص 50.

[3]– المصدر نفسه، ص 24 .

[4]– فوجيرولا(بيير)، الثورة الفرويدية، ص157.

*– أمثال طبيب الأعصاب الفرنسي **جان مارتان شاركو**(1825–1892). و**برنهايم** وهو الآخر طبيب فرنسي كان يعالج مرضاه بالإيحاء التنويمي.

[5]– فرويد (سيغموند)، النظرية العامة للأمراض العصابية، (مصدر سابق)، ص51.

توصّل بروير أثناء علاجه لحالة فتاة مصابة بالهستيريا، خلال الفترة الممتدة بين (1880–1882) إلى قناعة أساسية مفادها " أنّ أعراض الهستيريين ترتبط بمشاهد من حياتهم (رضّات Traumatismes)طوتها يد النسيان، بعد أن تركت فيهم وقعا عظيما."([1]) و أنّ " الأعراض العصابية أعراض بديلة "([2]).

كانت مريضة بروير، المهسترة، تعاني من عدّة أعراض: شلل مصحوب بتقلّصات عضلية، وأنواع من التّعطيل وحالات خلط ذهني([3]). واستخدم بروير للكشف عن الانفعالات التي كانت تساورها طريقة التّنويم الإيحائي،" فكان ينوّمها تنويما عميقا، ويجعلها في كل مرة تتبّئه عمّا تضيق به"([4]). إلى أن" تبيّن أن مردّ جميع أعراضها إلى حوادث أثّرت في نفسها تأثيرا عميقا أثناء قيامها بتمريض والدها. أي أن أعراضها كانت ذات معنى و كانت بمثابة بقايا أو ذكريات تخلّفت عن تلك المواقف الوجدانية"([5]).

يسرد لنا فرويد بعضا من الحادثة وكيف عالجها بروير فيقول:" كان يساورها وهي إلى جوار فراش أبيها المريض فكرة أو دافع لا بد لها أن تقمعه، ثم يظهر العرض محلّه فيما بعد بديلا منه...وعندما كانت المريضة تستعيد تخيّلا أثناء التّنويم ...و تنجز في الخيال فعلا نفسيا كانت قمعته، مع الإفصاح عن الانفعال، كان العرض يزول إلى غير رجعة وبهذه الطّريقة نجح بروير...في شفاء مريضته من جميع أعراضها"([6]).

تسمّى طريقة بروير في العلاج بـ"طريقة التطهير"([7]) وبفضل هذه الطريقة " توصل... إلى شفاء مريضته المهسترة، أي إلى تحريرها من أعراضها و...أن يستدرج إلى الوعي السيرورات اللاشعورية التي كانت تخفي معنى الأعراض. ومن ثمّ أن يزيل هذه الأخيرة ...و قد أيّدت

---

[1]– فرويد (سيغموند)، مساهمة في تاريخ حركة التحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص7 .

[2]– فرويد (سيغموند)، النظرية العامة للأمراض العصابية، ص 75

[3]– فرويد (سيغموند)، حياتي والتحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص36

[4]– المصدر نفسه، ص36

[5]– المصدر نفسه.

[6]– المصدر نفسه، ص36–37

[7]– المصدر نفسه، ص 38 .

جميع البحوث اللاّحقة الأطروحة القائلة بأن الأعراض تزول و تختفي حالما تغدو شروطها اللاشعورية واعية"([1]).

إن إعجاب فرويد بطريقة التّطهير وتكريسه كل جهده لإثبات نجاحها مع مرضى آخرين هيّأ له من الأسباب لكي يكتشف أمورا ما كان للعلاج التطهيري في مستواه البسيط أن يفضحها لولا التطوّرات التي ألحقها فرويد به نتيجة تزايد خبرته في الميدان. غير أن ذلك لا يمنعنا من التأكيد على أن "المنهج التطهيري، الرّائد المباشر للتحليل النفسي"([2]).

كيف طوّر فرويد طريقة التّطهير لتصير تحليلا نفسيا ؟.

أوّل خطوة كانت في تخلّصه من التّنويم لسلبياته. حتى أن فرويد يحدّد بداية التحليل النفسي بهجر التنويم الذي تقوم عليه طريقة التطهير. يقول:" تاريخ التّحليل النفسي بحصر المعنى لم يبدأ إلا يوم ظهور التّجديد التقني المتمثّل في هجر التنويم"([3]).

فتأثرا منه بتجارب **برنهايم** توصّل فرويد إلى أن إلحاح الطّبيب وتشجيعه للمريض ليتذكّر ما نسيه، كفيل بإرجاع الوقائع المنسيّة إلى ساحة الشّعور دون الحاجة إلى تنويمه.عندما طبّق فرويد هذه الطريقة، وجد أنّ المريض يبدي "مقاومة تعارض العمل التحليلي إذ يتذرّع المعالج بفجوة في الذاكرة ليبطل فاعلية ذالك العمل"([4]) وما كان لفرويد أن يفطن لهذه الظّاهرة لو استمرّ في استخدام التنويم([5]).

تقدّم فرويد خطوة أخرى إلى الأمام فما عاد يُلحّ على المريض تذكّر ذكرياته، و إنّما تركه يفصح عن آلامه وأن "يستسلم لعملية **تداع حر**"([6])**Association Libre**. شرط أن يتعّهد المريض بأن" يبوح...ليس فقط بما يمكن له أن يقوله عن قصد وبطوع إرادته...بل كذالك بكلّ ما يطالعه به استبطانه لنفسه وبكلّ ما يرد إلى ذهنه حتى لو كان البوح به مستكرها

---

[1]– فرويد (سيغموند)، النظرية العامة للأمراض العصابية، (مصدر سابق)، ص51

[2]– و.مانوني، مذهب فرويد، (مرجع سابق)، ص45.

[3]– فرويد (سيغموند)، مساهمة في تاريخ حركة التحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص 17.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– المصدر نفسه.

[6]– فرويد (سيغموند)، حياتي والتحليل النفسي، ص47.

عنده، بل حتّى لو بدا له عديم الجدوى بل سخيفا"([1]). وهذا الالتزام هو ما يسمّيه فرويد لاحقا **بالقاعدة الأساسية la Règle Fondamentale**. غير أن الأمر لم يتمّ بهذه السّهولة، فقد اكتشف فرويد أن المريض يجد صعوبة في استدعاء ذكرياته وتجاربه، بل إنّه يقاوم عودتها من جديد إلى ذاكرته. وهذه الظّاهرة أدّت بفرويد إلى استنتاج مفاده أنّ كل شيء قاومه المريض كي لا يعود إلى شعوره كان مخزيا ومستقبحا ومؤلما في عرفه. و قد صاغ فرويد ملاحظته تلك في ما أسماه بنظرية **المقاومة Résistance والكبت Répression** والتّي ستصبح حجر الأساس في تفسير نشأة العصاب([2]). ومفادها "منع وإقصاء الرّغبات والأفكار غير المقبولة من الظهور في الشعور"([3]) وأن **الكبت** يحدث عندما ينشأ صراع نفسي بين الأنا والرغبة المستقبحة" فيتقهقر الأنا بعد أول صدمة يتلقاها في صراعه مع الدافع المحظور، فيمنع الدّافع من أن يصبح شعوريا ويحول بينه وبين الانصراف الفعلي المباشر ولكن الدافع يبقى مع ذلك محتفظا بكامل شحنته من الطاقة"([4]) لذلك يظهر في صورة عرض مرضي عصابي.

هناك ظاهرة أخرى لفتت انتباه فرويد أطلق عليها اسم **التحويل le Transfert** و هو أن "يرى المحلّل في محلّله بعثا، تقمّصا لشخص ذي شأن في ماضيه الطّفلي، ولهذا يختصّه بمشاعر ويظهر تجاهه استجابات كانت تنصب بكل تأكيد على النموذج الأصل"([5]). إذ "تنشا على غير تدخّل من الطّبيب علاقة وجدانية عنيفة بين المريض والمحلّل...قد تكون تلك العلاقة موجبة أو سالبة...بين حالة حبّ قويّ ذي طابع شهواني صريح وبين أقوى تعبير عن التحدّي والبغض الشديد. هذا النّقل...سرعان ما يحلّ في نفس المريض محل الرّغبة في الشّفاء ويصبح، ما دام وديّا معتدلا، العامل الفعّال في تأثير الطّبيب على

---

[1]– فرويد(سيغموند)، مختصر التحليل النفسي، ترجمة، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، لبنان: الطبعة الثانية، آذار (مارس)1986)، ص44.

[2]– فرويد (سيغموند)، حياتي والتحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص35–36.

[3]– فرويد(سيغموند)، الكف والعرض والقلق، ترجمة، محمد عثمان نجاتي، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار الشروق، 1989)ص58.

[4]– فرويد(سيغموند)، حياتي والتحليل النفسي، ص36.

[5]– فرويد(سيغموند)، مختصر التحليل النفسي، ص45.

المريض والمحرك الرئيسي لعملية التّحليل المشتركة بينهما"([1]). وهنا بالذات يبرز دور المحلّل وعلاجه التّحليلي، يقول فرويد:" المعالجة التّحليلية فموضوعها...التّحويل نفسه.إذ تسعى إلى إماطة اللّثام عنه وتفكيكه أيا يكن الشّكل الذي يتبدّى فيه، وفي نهاية المعالجة التّحليلية يتعيّن هدم التّحويل نفسه"([2]).

إن التّحويل الذي يتعيّن هدمه ليس ظاهرة سلبية تماما، بل على العكس من ذلك، فالتّحويل "يحضّ المريض على أن يعرض...بجلاء شطرا واسعا من تاريخ حياته...وهو إذ يفعل ذلك يبدو وكأنّه يعيش فعلا ما يرويه"([3]). أضف إلى ذلك فإنّ التحويل يتيح للمحلّل فرصة علاج أعراض المريض بأن يرجع إلى أصوله ويوقظ، من جديد، الصّراع الذي تولّدت عنه، ممّا يسمح له في ما بعد بإعادة توجيه هذا الصّراع نحو حلّ آخر.

يقول فرويد:" هذه المراجعة للسّيرورة التي أفضت إلى الكبت لا يمكن القيام بها إلا بصورة جزئية بتقصّينا الآثار التي خلّفتها. والشّطر الحاسم من مهمّتنا هو أن نستحدث انطلاقا من موقف المريض من الطبيب، أي انطلاقا من "التحويل" طبعات جديدة من الصّراعات القديمة، بحيث يتصرّف المريض فيها كما كان يتصرّف في صراعاته القديمة. مع فارق وحيد وهو أنّه يستنفر هذه المرّة كل قواه النفسية المتاحة ليصل إلى حل مغاير"([4]).

لقد وصل فرويد، انطلاقا من تجاربه العديدة مع مرضى العصاب، وملاحظته لمظاهر الكبت والمقاومة والتحويل. إلى نتيجة حاسمة لم يكن من السهل تقبّلها في الأوساط العلمية آنذاك، وهي أن" ما كان يفتعل خلف مظاهر العصاب ليس **اضطرابا انفعاليا أيا كان** إنما هو دائما **اضطراب ذو طابع جنسي**، سواء كان صراعا جنسيا حاليا أو نتيجة خبرات جنسية باكرة"([5]).

---

[1]– فرويد(سيغموند)، مختصر التحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص48 .

[2]– فرويد(سيغموند)، النظرية العامة للأمراض العصابية، (مصدر سابق)، ص262 .

[3]– فرويد(سيغموند)، مختصر التحليل النفسي، ص46.

[4]– فرويد(سيغموند)، النظرية العامة للأمراض العصابية، ص263.

[5]– فرويد(سيغموند)، حياتي والتحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص30.

إن الصّراع النفسي الذي يحدث في حياة المريض العصابي هو صراع بين رغبة جنسية تنزع إلى التحقّق وبين كبت صارم لنوازع هذه الرغبة. ويؤكّد فرويد في كل مؤلفاته على هذا الأمر فيقول بشكل قطعي:" إن ..الأعصبة النّفسية ينبغي أن تعزى، على حد ما تسنّى لي أن أشاهد إلى قوة الغرائز الجنسية، ولا أقصد بقولي هذا أنّ طاقة الغريزة الجنسية تدخل في عداد القوى التي تدعّم الظاهرات المرضية فحسب، بل أبغي...التّوكيد على أن هذه المساهمة هي مصدر الطّاقة الأهم والوحيد الثابت للعصاب، ومن ثم فإن الحياة الجنسية للمرضى تتظاهر كليا أو غالبا أو جزئيا في هذه الأعراض، و ما الأعراض، كما أوضحت ذلك...إلا النشاط الجنسي للمريض والدّليل على ما أذهب إليه تمدّني به المشاهدات التّحليلية النفسية التي كان موضوعها، مدى خمسة وعشرين عاما، مرضى الهستيريا وغيرهم من المعصوبين"([1]).

قام فرويد، بعد هذه التطوّرات التي حدثت لأجل فهم نفسية المريض العصابي، بتسمية طريقته الجديدة في العلاج **تحليلا نفسيا** بدل تطهيرا إذ " لم يعد غرض العلاج أن يُفرغ انفعالا اندفع في طرق خاطئة"([2]) كما كان الشأن في عملية التطهير " بل أن يكشف عن عمليّات الكبت ليستعيض عنها بعمليات حكم عقلية"([3]).

يلخّص فرويد وظيفة منهجه الجديد في قوله:"مهمّة المعالجة التحليلية النفسية يمكن تلخيصها في الصيغة التالية: تحويل كل المادة اللاشعورية المسبّبة للمرض إلى مادة شعورية"([4]).

2- تأويل الأحلام:

يعتبر التّحليل النفسي منهجا تأويليا بامتياز، و يظهر ذلك في سبره لأعماق النّفس انطلاقا من تأويل أحلامها اللّيلية.

---

[1]- فرويد (سيغموند)، ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر 1983)ص40.

[2]- المصدر نفسه، ص36 .

[3]- المصدر نفسه، ص36-37 .

[4]- فرويد (سيغموند)، النظرية العامة للأمراض العصابية، (مصدر سابق)، ص54 .

تأويل المحلّل النّفسي للأحلام، كما يؤكد فرويد " هو السكّة السّلطانية المؤدّية...إلى ارتياد كل ما هو غير شعوري أو غير واع من جوانب نشاطنا النفسي"([1]). وهو يفيد " في تعريفنا بحقائق تركيبنا النّفسي ومتاعبنا النّفسية"([2]). من هنا تتبيّن أهمية الأحلام بالنسبة للتّحليل النفسي، فهي تعين على الوقوف"على عمليّات المريض الشعورية واللاّشعورية"([3]) بالإضافة إلى الكشف عن بعض الذّكريات المنسية منذ الطّفولة، لأنّه من الممكن أن تظهر " الأمور المنسية من الطفولة... في الأحلام"([4]).

تعتبر الأحلام " أعراضا عصابية "([5]) سببها تلك الرّغبات اللاشعورية ذات الطّابع الجنسي في معظمها، والتي وجدت في الحلم فرصة سانحة للتّعبير والإفصاح عن نفسها ([6]).

لذلك فإن" أي حلم إنما هو...تحقيق...يكون مقنّعا وملتويا، لرغبة تكون في معظم الأحوال مكبوتة ومكبوحة"([7]).

قام فرويد، للكشف عن الآليات التي يتمّ بها إنتاج الحلم والتأكيد على وجود عالم لاشعوري في أعماق النفس، بتحليل أحلام مرضاه العصابيين، وحتى يبلغ اليقين فيما وصل إليه، فيما يخص ظاهرة الأحلام، قام بنوع من التّحليل الذاتي لأحلامه الخاصة مثل تحليله لذاك الحلم الذي حلمه في يوليو 1895 كما هو مبسوط في كتابه "تفسير الأحلام" (1900)([8]). يقول : " قمت بتحليل نفسي بنفسي بعد أن تأكّدت لي ضرورة ذلك، وكانت وسيلتي إلى ذلك مجموعة من أحلامي"([9]). ويقول، في موضع آخر، ردا على من ينكرون

---

[1]– فرويد (سيغموند)، تفسير الأحلام، ترجمة، نظمي لوقا، دون طبعة، (دون مكان النشر: دار الهلال، اهداءات 2001)، ص187.

[2]– المصدر نفسه، ص187

[3]– فرويد (سيغموند)، حياتي و التحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص 53.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– المصدر نفسه، ص 51.

[6]– فرويد (سيغموند)، تفسير الأحلام، ص 191.

[7]– المصدر نفسه، ص 51.

[8]– فرويد (سيغموند)، تفسير الأحلام، (مصدر سابق)، ص28 وما بعدها.

[9]– فرويد (سيغموند)، مساهمة في تاريخ حركة التحليل النفسي،(مصدر سابق)، ص 23.

نظريته في الأحلام، بل وحتى في اللاشعور، ويعتبرونها " مجرد تخريف مرضى بأعصابهم...والمريض لا يصلح(في رأيهم) حجّة على السّليم، والشاذ ليس مقياسا للطبيعي"([1]):" ما دام الأمر كذلك فليس أمامي فرصة للاختيار، إني لا أملك إذن إلاّ أحلامي الخاصة التي تتراءى لي مثل سائر الناس في الأحوال العادية، رغم ما في هذا التحليل الذاتي من صعوبات لا أنكرها، وليس أقلّ هذه الصعوبات شأنا أنّي سأضطر للكشف عن جوانب من أسرار حياتي الشّخصية ولكنّي لا أجد مناصا من ذلك"([2]).

ما الذي استنتجه فرويد من تأويل أحلامه وأحلام مرضاه ؟ كيف تتمّ عملية إنتاج الحلم؟ كيف تتحول تلك الأفكار الكامنة، التي هي في أصلها رغبات مكبوتة، إلى صور مرئية كما تظهر لنا في الأحلام؟.

تسمح حالة النوم بإرخاء عملية الكبت، ممّا يجعل الرغبات اللاشعورية المكبوتة تتسرّب إلى ساحة الشعور، ويعتقد فرويد أن لكل حلم "مضمون مستتر أو باطن...وراء شكله الظاهري"([3]). وأن الحلم "يرمي بمحتواه الباطن إلى تحقيق رغبة لاشعورية لدى الحالم"([4])، ولمّا كانت هذه الرغبة، في غالب أحوالها ذات طابع جنسي، فإنها تكون"هدفا للمصادرة من الرّقيب الشعوري. وتهربّا من هذه المصادرة يلجا الحلم إلى عمليات تنكّر بعيدة المدى لإخفاء تلك الرّغبة الممنوعة أو المكبوحة، وهنا يأتي التشويه والالتواء والغموض الذي يسود أشكال الأحلام ويحدث التفكّك الواضح وعدم التناسق بين أجزائه "([5]).

يستعين الحلم بآليات هامة في ذلك أهمّها التّكثيف والإبدال (النقل) والرّمز. وهذا ما يسميه فرويد بـ:"عمل الحلم"([6]).

---

[1]– فرويد (سيغموند)، الحلم وتأويله، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، مارس 1982)، ص 26.

[2]– المصدر نفسه، ص 26–27.

[3]– فرويد (سيغموند)، تفسير الأحلام، (مصدر سابق)، ص76.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– المصدر نفسه.

[6]– فرويد (سيغموند)، الحلم وتأويله، (مصدر سابق)، ص16.

معنى التكثيف Condensation أن يكون الحلم الظاهر مركّزا ومختزلا جدا بالمقارنة مع سلسلة الأفكار الكامنة وراءه والتي يمكن تعقّبها بالتّحليل والتأويل.

يقول فرويد:" يحدث غالبا أن يمثّل عنصر واحد من الحلم الظاهر عدّة أفكار كامنة من هذا الحلم...ويكون الحلم الظاهر شديد الاقتضاب قياسا إلى المعطيات الوفيرة التي تكوّن منها"([1]).

تتمثّل آلية النقل والإبدال Déplacement في نقل التوظيفات النفسية من عنصر واستبداله بآخر فتبدوا بعض العناصر المتكرّر ظهورها في الحلم على أنّها ذات قيمة، في حين أنّها ثانوية في الكشف عن الأفكار الكامنة للحلم، وفي المقابل تظهر العناصر المهمّة في إشارات خاطفة([2])، ممّا "يجعل مهمّة التفسير عسيرة "([3]). لأنّ "الإبدال من شأنه أن يبعد الذهن عن المضمون السرّي للحلم"([4]).

أما فيما يخص استخدام الحلم للغة الترميز Symbolisation فهذا ما يبرّر التّمييز، فيه، بين شكله الظاهر كصور، التّي هي رموز، وبين أفكاره الكامنة المستخرجة منها بعد التحليل والتأويل. من ثم يصبح " الدّاعي إلى استخدام الرّموز واضح ألا وهو التّعبير عن المقاصد الخفيّة والمعاني الأصلية تعبيرا مستترا ينطلي على الرقيب الشعوري"([5]). ويعتقد فرويد أن معظم رموز الحلم" ذات صفة جنسية غالبة"([6]) ويسوق بعض الرموز الدالة على ذلك مثل:

" الأشياء المستطيلة، العصي والأغصان، الأسلحة الحادة كالخناجر، المعول ومبرد الأظافر= آلة الرجل الجنسية"([7]). أما " العلب والصناديق والأدراج...كل ما هو مجوف الحجرات ذات الأبواب = الرحم عند المرأة "([8])...الخ.

---

[1]– فرويد (سيغموند)، مختصر التحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص35.

[2]– المصدر نفسه، ص 35

[3]– فرويد (سيغموند)، تفسير الأحلام ،(مصدر سابق)، ص84.

[4]– المصدر نفسه.

[5]– المصدر نفسه، ص 89.

[6]– فرويد((سيغموند)، حياتي و التحليل النفسي،(مصدر سابق)، ص53.

[7]– فرويد (سيغموند)، تفسير الأحلام، ص 90.

[8]– المصدر نفسه.

يرفض فرويد اعتبار بعض الأحلام إخبار عن المستقبل لأن الأحلام ترتبط، في رأيه، بمخلّفات النّهار، ممّا يعني أنّها ترتبط بما مضى من تجارب الحالم ولا علاقة لها بتنبيئه بالمستقبل كما هو شائع لدى عامة الناس. يقول: " أمّا أن الأحلام كوّة ترى منها لمحة من الغيب والمستقبل فذلك باطل لان الحلم...يصوّر الماضي ويصدر عنه ويعبّر عن مكنوناته المطوية المنسية وكل ما للحلم من صلة بالمستقبل أنّه يصوّر لنا رغباتنا التي كبتها الماضي أو كبحها وقد تحقّقت على صعيد الحاضر"([1]).

هذا ما جعل فرويد يولي أهمية خاصة لنظريته في الأحلام فهي كما يقول :" تشغل مكانا خاصا في تاريخ التحليل النفسي بل هي نقطة تحوّل فيه. فقد انتقل التّحليل بفضل نظرية الأحلام من مجرد طريقة للعلاج النفسي إلى علم نفس يتناول الأعماق من الطبيعة البشرية"([2]). هذا دون أن ننسى دور هذه النظرية في الآفاق التي فتحتها بخصوص عالم الفن والإبداع مما جعل للتّحليل النفسي كلمته الخاصة والمميزة بخصوص العملية الإبداعية(*).

تحليل النـــص

" يظهر المحللون جهلا مثيرا للشفقة بماهية الطريقة العلمية ...إن مجرد التأكيد بان واقعة حصلت في حالة محددة و تحت ظروف معينة لا يسمح باستخلاص نتائج لأنه لا يمكننا أبدا التأكد أن وصف الظروف كان كاملا بشكل كاف أي انه لم يتم حذف بعض التفاصيل الهامة في التقرير المعطى أو انه لم يتم تدوين بعض التفاصيل المسجلة في التقرير بشكل خاطئ وهذه هي الآثار المعروفة جيدا لهشاشة الشهادة الإنسانية (...).

التحليل النفسي ليس علما حقا إذا اعتبرنا المعايير الخاصة للعلوم الفيزيائية ... و عليه فمن الضروري تمحيص الحقائق المتعلقة بالتحليل النفسي عن كثب ، يجب أن ننبه أولا أن الكلام يسمح بالتعبير عن الصواب كما يسمح بالتعبير عن الخطأ ...لا احد يستطيع قول الحقيقة

---

[1]– فرويد (سيغموند)، تفسير الأحلام، (مصدر سابق)، ص 192.

[2]– فرويد (سيغموند) ، محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص 5.

عن نفسه...و في حالة التحليل النفسي نجد من المستحيل أن يراقب آخرون الطريقة التي تجمع بها المعلومات و أن يكرروا الملاحظات و لو لم يكن إلا لهذا السبب لتوجب أن ينظر إلى الوقائع دائما بتشكك كيف يقام بجمعها ؟

عندما يستقر المحلل على قصة منطقية يتفق عليها المحلل و المحلل تعتبر الوقائع صحيحة و عندها ينتهي التحليل ليس هناك إذن إلا شخصان معنيان و بالتأكيد ليس هذا علما مضبوطا لان كل البنية الفوقية ليست أكثر صوابا من الوقائع التي تعتمد عليها ...يمكن تلخيص نجاح فرويد بعمله الباهر في حمله العالم على تقبل استخلاصاته دون السماح بمراقبة طرقه و لا عرض نتائجها".

برسيفال بيلي :نقد نظرية التحليل النفسي تر:محمد هلال.ص57-59-60-61

<u>إشكالية النص</u>

هل المنهج التحليلي النفسي هو منهج علمي بالمعنى الاصطلاحي للكلمة ؟

نسجل مايلي:

هل المنهج التحليلي النفسي منهجا علميا ؟

لم يبق التحليل النفسي مجرّد طريقة خاصة في علاج الأمراض العصابية تضاف إلى مناهج علم النفس المرضي، وإنّما أصبح، كما يؤكّد مؤسسه، "**اسما لعلم هو علم العمليات النفسية اللاشعورية**"([1]). وهو المنهج الذي به استجاب فرويد لنداء الحكمة السقراطية القديمة "اعرف نفسك بنفسك". والسؤال الذي يشغلنا الآن هو هل بالفعل يمكن اعتبار التحليل النفسي علما ؟.

يحذّرنا فرويد من مجرد الشك في ذلك ويقول " لن تكونوا إلا مخطئين...إن اعتقدتم أن التصوّر التحليلي النفسي...هو مذهب تأمّلي، فهو بالأحرى **ثمرة خبرة وتجربة**، تعبير مباشر

[1]- فرويد (سيغموند)، <u>حياتي والتحليل النفسي</u>، (مصدر سابق)، ص81 .

عن **الملاحظة والمشاهدة**...وتقدّم العلم هو وحده الكفيل بتمكيننا من أن نحكم هل كانت هذه الصياغة كافية ومبررة"([1]).

تعرّض التحليل النفسي إلى انتقادات هامّة تمحور معظمها حول عدم استحقاق التحليل النفسي لصفة العلمية ويمكن إيجاز هذه الانتقادات فيما يلي:

– " إن قيام المحلّل النفسي بالبحث مباشرة –دون عدّة فنية– يعرّض نتائجه للتأثّر بأحكامه الذاتية، فكون وسيلة البحث في التحليل النفسي هي المحلّل ذاته وكون المحلّل يعتمد على إمكانياته الشخصية، ستكون معيارا ذاتيا يحدّد ما يصل إليه من نتائج...يضاف إلى ذلك أن التّحليل النفسي كمنهج في البحث لا يمكن أن يؤدّي يوما إلى نتائج كميّة أو يسمح بتحقّق موضوعي من نتائجه"([2]).

–ينتقد برسيفال بيلي المنهجية الفرويدية في العلاج فيقول: " في حالة التّحليل النفسي نجد من المستحيل أن يراقب آخرون الطريقة التي تجمع بها المعلومات و أن يكرّروا الملاحظات...عندما يستقر المحلّل على قصّة منطقيّة يتّفق عليها المحلّل والمحلّل تعتبر الوقائع صحيحة وعندها ينتهي التحليل. ليس هناك إذن إلاّ شخصان معنيان وبالتّأكيد ليس هذا علما مضبوطا...وعليه يمكن تلخيص نجاح فرويد بعمله الباهر في حمله على تقبّل استخلاصاته دون السّماح بمراقبة طرقه و لا عرض نتائجها"([3]).

–النقد ذاته يوجّهه كارل بوبر(1902–1994)إلى التّحليل النفسي بعدما يُدرجه في صف النظريات غير العلمية لافتقاده شروط الصرامة العلمية، ويعتبر كارل بوبر نظرية التحليل النفسي نظرية ميتافيزيقية نسلّم بها دون تمكّننا من إخضاعها للاختبار لأنها غير قابلة للرّفض أو التكذيب([4]).

---

[1]– فرويد(سيغموند)، النظرية العامة للأمراض العصابية، (مصدر سابق)، ص7.

[2]– فائق (احمد)، التحليل النفسي بين العلم والفلسفة، دون طبعة، (القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية، دون تاريخ) ص76.

[3]– بيلي (برسيفال)، نقد نظرية التحليل النفسي، ترجمة و تعليق على كتاب سيغموند القلق، ترجمة محمد هلال، الطبعة الأولى (سلطنة عمان :دار المناهج للنشر و التوزيع1430–1999) ص61 .

[4]– قاسم (محمد محمد)، كارل بوبر، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، دون طبعة، (الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية 1986)، ص208–209.

– ينتقد ج.ل..فلوجل Flugel التّحليل النفسي في قوله:" إن المشكلة التي تواجه التّحليل النفسي حاليا هي أنّه فيه الكثير جدا من الفن والقليل جدا من المنهج العلمي الذي يمكن تطبيقه على الملاحظات المضبوطة والقايلة للتكرار"([1]).

– " النتائج العلاجية للتّحليل النفسي لا تكفي لإثبات صحّته...لا يمكن أبدا تحديد صحة قناعة ما باعتبار الدّور الذي تلعبه في إرضاء الحاجات العاطفية مهما كانت عميقة"([2]).

– من الصعب جدا أن يشهد الفرد على ذاته بالدقّة التي ينتظرها المحلّل من مريضه، إذ من الممكن جدا أن" يتمّ حذف بعض التفاصيل الهامة في التقرير المعطى...وهذه هي الآثار المعروفة جيدا لهشاشة الشهادة الإنسانية"([3]).

– " منهج التحليل...أتى بكشوفه واستنتاجاته من دراساته للمرضى النفسيين وقام بتعميمها على الأسوياء ممّا أوقعه في خطأ منهجي كبير"([4]).

– إن المحلل النفسي يلاحظ مريضه وفق إحساسه، مقولاته الفكرية الشخصية...ولا يمكنه، مهما كانت عبقريته وكفاءته، أن يعرف المشاعر العميقة للحالات المرضية المدروسة، لأن فكرة التحديد الموضوعي للمشاعر في داخلنا يبدو أنها وهم، لذلك لا يمكن للمحلل النفسي ادّعاء قول الحقيقة بالمعنى الدقيق للكلمة([5]).

– أما فيما يخصّ تأكيدات فرويد حول أهميّة الخبرات الماضية في الإصابة بالمرض النفسي(العصاب)، فإنّه يجدر بنا إعادة طرح التساؤلات التي سبق وأن طرحها ايفان وارد والمتمثّلة في:" إذا كان الماضي يحدّد جزئيا مستقبل الفرد من خلال التأثير المتواصل للقوى

---

[1]– فلوجل (ج.ك)، علم النفس في مائة عام، ترجمة لطفي فطيم، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر) 1973 ص199

[2] – بيلي (برسيفال)، نقد نظرية التحليل النفسي، ص61 .

[3] – بيلي (برسيفال)، نقد نظرية التحليل النفسي، (مرجع سابق)، ص59.

[4] – طه فرج (عبد القادر)، علم النفس و قضايا العصر،(مرجع سابق)، ص275.

[5]– Renée Bouveresse-Quilliot et Roland Quilliot , Les Critiques de la Psychanalyse , 3eEd, Presses Universitaires de France ,Paris1995.PP117-121

اللاّشعورية...التخييلات، الصدمات...هل يمكننا القول بأن مستقبل النوع البشري مقدّر بطريقة مماثلة؟ هل نسير معصوبي العينين نحو مستقبل محدّد بواسطة التأثيرات اللاشعورية للماضي ؟"([1]).

– من الانتقادات القويّة التي وجهت إلى فرويد، كذلك، " أنّه خان سر المهنة ونشر على الملأ تفاصيل الحياة الخاصة والحميمة لمريضة كانت قد وضعت ثقتها فيه، ولا سيما أنّ هذه المريضة كانت صبيّة في الثامنة عشرة من العمر وأن الميول التي عزاها إليها فرويد في تحليله كانت ميولا منحرفة"([2]).

يذكر فرج عبد القادر طه، في دفاعه عن علمية التّحليل النفسي أن " التّثبيت على فكرة أن المنهج التجريبي هو المنهج العلمي الوحيد، إنما يعتبر ضربا من التّفكير الجامد الذي لا يوافق عليه علماء المناهج أنفسهم، فضلا عن علماء التخصّصات العلمية المختلفة...إذ يرى هؤلاء...أن المنهج العلمي يختلف باختلاف العلوم، وأن لكل علم منهجه الخاص الذي تفرضه طبيعة موضوعه"([3]).

ولما كانت الظاهرة النفسية ظاهرة معقّدة لا نستطيع تحليلها إلى عناصرها البسيطة وإخضاعها إلى تقنيات المنهج التجريبي، كما هو الشأن بالنسبة إلى الظاهرات الطبيعية، توجب بالتالي إبداع منهج يتناسب وطبيعة هذه الظاهرة. والتحليل النفسي أكثر المناهج ملائمة لطبيعة الموضوع المدروس، النفس([4]).

سبق وذكرنا بأن فرويد قبل أن يصبح محللا نفسيا كان قد كرّس فترة من حياته العلمية للدراسات البيولوجية والطبية والتشريحية. مما يؤّكد على" التّكوين العلمي لفرويد نفسه "([5]). ويدلّ على " أنّ الوعي بالمنهج التجريبي لم يكن لينقصه بل إنه قد مارسه في بحوثه لفترة

---

[1]– وارد (ايفان) وأوسكار (زاريت)، التحليل النفسي، ترجمة: جمال الجزيري، الطبعة الأولى، (القاهرة:المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص181

[2]– فرويد (سيغموند)، التحليل النفسي للهستيريا: حالة دورا، ترجمة، جورج طرابيشي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، نوفمبر 1981)، ص5(المترجم).

[3]– طه فرج (عبد القادر)، علم النفس و قضايا العصر، ص271.

[4]– وهبي(كمال) وأبو شهده(كمال)، مقدمة في التحليل النفسي، الطبعة الأولى، (بيروت:دار الفكر العربي1997)، ص16

[5]– طه فرج (عبد القادر)، علم النفس و قضايا العصر، (مرجع سابق)، ص270.

طويلة، إلاّ أنّه اكتشف حدود صلاحية هذا المنهج فلم يرى، فيه، أنه صالح لدراسة كل ظاهرة مهما كانت نوعيتها"([1]).

إن " ما يحكم نتائج البحث التحليلي وما يجمعه الباحثون من مادة تحليلية ليس هو حكم المحلّل النّفسي بقدر ما هي مستدعيات الشخص المراد تحليله... فالذّاتية في البحث التحليلي ذاتيّة مظهرية، لا ينكرها المحلّل، وإن كان ينبّه دائما إلى عدم اختلاف ما يبحثه(المستدعيات) عما يبحث به(المستدعيات). أما باطن العمل التحليلي فهو ذاتية الموضوع المدروس وليس ذاتية الدّارس، و لا أدلّ على ذلك من التزام المحلّل في عمله...مبدأ التداعي الحر"([2]).

و حسبنا القول، في الأخير، أن أكثر العلوم موضوعيّة مهدّدة بتدخّل قدر ولو ضئيل من ذاتية الباحث، لأن " أدوات القياس التي يستعملها...هي في النهاية–أو منذ البداية–من إنشائه و...صدقها و ثباتها من تقديره، فكونه يعتمد عليها...مدّعيا موضوعية هذه الأدوات لا يعفيه من قدر من الذّاتية متضمّن في إنشائه التّجريبي وتقنيّنه واختياره لها"([3]).

إن تلك الانتقادات لا تنقص من قيمة المنهج التّحليلي لأن هذا الأخير قد اثبت فعاليته العلاجية لكونه قائما على فهم خاص ومميّز لطبيعة النّفس الإنسانية، ما جعل مؤسّسه لا يتردّد في جعله "**علما للعمليات النفسية اللاشعورية**"([4]).

---

[1]– المرجع نفسه.

[2]– فائق(احمد)، التحليل النفسي بين العلم والفلسفة، دون طبعة، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، دون تاريخ)، ص77

[3]– المرجع نفسه، ص79.

[4]– فرويد (سيغموند)، حياتي والتحليل النفسي، (مصدر سابق)، ص81 .

الموضوع الثالث

المنهج في علم الاجتماع: دوركايم نموذجا من خلال كتابه"قواعد المنهج في علم الاجتماع

- **معطيات و مفاهيم أولية.**

تعريف علم الاجتماع:

– علم الاجتماع هو احد العلوم الإنسانية و الاجتماعية يدرس التفاعل الإنساني الذي يتجلى في التأثير المتبادل بين الأفراد باعتبارهم كائنات اجتماعية تمارس نشاطات متعددة و تدخل فيما بينها في علاقات مختلفة الأوجه تنمو و تتطور من خلالها أشكال الروابط الاجتماعية المختلفة.

– علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية الإنسانية، من خلال محاولة الإجابة إجابة منهجية على تساؤلات ملحة في الميدان على غرار:

كيف تنشا الجماعات الاجتماعية الإنسانية و تتكامل؟

كيف تنفصل و تتباعد و على أي أساس و ظروف تقوم بذلك؟

- **كلمة سوسيولوجيا.sociologie**

ظهرت كلمة **سوسيولوجيا** لأول مرة في كتاب لاوغست كونت "دروس في الفلسفة الوضعية"و نشير إلى أن كونت قد أرغم على استحداث هذه الكلمة لأنه في الحقيقة كان يرغب أن يطلق تسمية "**الفيزياء الاجتماعية**"على العلم المعني بالمجتمع لكن اودولف كيتلي (عالم رياضيات و فلكي بلجيكي تبنى تعبير فيزياء اجتماعية ليطبقه على علم جديد هو الدراسة الإحصائية للجماعات البشرية .ففي رحلة له إلى باريس كان كيتلي قد اكتشف الاستخدام الممكن للإحصاء من اجل تفسير ظواهر مثل الإجرام و تحديد تواتره ضمن الشعب ، ففضل كيتلي الذي سيصبح رائدا لما سيسمى فيما بعد بالديموغرافيا او علم السكان، تعبير الفيزياء الاجتماعية مما اضطر كونت ليتخلى باسف عن ملكية إبداع المصطلح و اجبر ليجد اسما جديدا يطلقه على علمه الجديد اسمه"السوسيولوجيا" و هي كلمة مؤلفة من الجذر اللاتيني socius (أي المجتمع) والجذر اليوناني logos (أي معرفة او علم).

إن مصطلح الفيزياء الاجتماعية هو مصطلح يعلن عن الكثير من مقاصد صاحبه الذي كان شغوفا بالفيزياء و الرياضيات ،و هذه الاحالة الى الفيزياء تشير الى الرغبة ببناء علم حقيقي مؤسس على قوانين موضوعية.و هنا تكمن المبادئ الاولى للنزعة الوضعية التي يعتبر كونت اول دعاتها و سيكون هدف الفيزياء الاجتماعية الكشف عن قوانين المجتمع ووضع المعرفة بهذه القوانين تحت خدمة الدولة.

- **النشأة التاريخية لعلم الاجتماع.**

عبد الرحمن ابن خلدون سبق اوغست كونت بأربعة قرون و ابن خلدون هو المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع أو كما كان يسميه بعلم العمران البشري و مقدمته

المشهورة ناقش فيها طبائع العمران و قوانين المجتمع الإنساني، لكن عمله لم يكتب له الاستمرار خصوصا و انه واكب سقوط الحضارة العربية الإسلامية في القرن 14م.

- يمكن التأكيد على أن استئناف نشأة علم الاجتماع على يد اوغست كونت في القرن19 ارتبطت بظروف التحول الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي و الفكري التي كان يمر بها المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت بحيث نستطيع القول بان علم الاجتماع بكافة اتجاهاته و فروعه النظرية قد تطور استجابة للمشكلات الاجتماعية التي صاحبت مرحلة الانتقال من مجتمع إقطاعي قديم إلى مجتمع رأسمالي جديد و هذا الانتقال في حد ذاته كان نتيجة لثلاث ثورات أساسية هي :

أولا :الثورة الصناعية

من نتائجها نذكر انتقال القلب أو المركز الاجتماعي للإنتاج من القرية إلى المدينة و ما نشا عن ذلك من ظهور طبقة عاملة صناعية و طبقة مالكة لوسائل الإنتاج و توتر العلاقة بين الطبقتين وهو التوتر الذي انبثقت عنه مشكلات اجتماعية كانت موضوعا خصبا للفكر الاجتماعي الذي سعى إلى البحث عن سبل علاج مشكلة الصراع الطبقي ..الخ.

ثانيا :الثورة الفكرية و الفلسفية التنويرية.

انبثاق النظام الرأسمالي الجديد من أحشاء النظام القديم هو محصلة تطورات تاريخية و فكرية و فلسفية طويلة فالنظام الجديد استخدم أسلحة فكرية و فلسفية في صراعه ضد الإقطاع و محاولته تقويضه لإيديولوجيته المستندة إلى فكرة الحق الإلهي في السلطة و التأكيد على انه لا سلطة تعلو على سلطة العقل، فالتأكيد على هذا المبدأ يجعل الإنسان يدرك انه غاية في حد ذاته فالإنسان يملك عقلا يدرك به مصالحه ومن حقه أن ينقد أي شيء و كل شيء و له أن يثور على الأوضاع الاجتماعية التي تكبله و تعيد

مصـالحه فـالمجتمع موجـود لتحقيـق سـعادة الفـرد لان الأخيـر هـو الغايـة ولـيس الوسيلة لخدمة سلطة ارقي منه.

ثالثـا: الثـورة السياسـية ممثلـة فـي الثـورة الفرنسـية باعتبارها تتويجا و انتصـارا للفكـر التنـويري ضـد فكـرة الحـق الالهـي فـي السـلطة ومـا ينجـر عنهـا مـن محافظة على الأوضاع القائمة و الرضوخ لها بشكل سلبي تماما.

إذن يمكـن التأكيـد مـرة أخـرى علـى أن نشـأة السوسـيولوجيا جـاء اسـتجابة لتطـورات اجتماعيـة أفـرزت أشـكالا مـن المشـكلات الاجتماعيـة و التـي اسـتوجبت البحـث و الدراسـة بغيـة إيجـاد حلـول لهـا و هـذه مـن مهـام علـم الاجتماع.

- **بعض المناهج المستخدمة حاليا في علم الاجتماع**

منهج المسح الاجتماعي.

يعتبر منهج المسح الاجتماعي من أشهر مناهج البحث وأكثرها استخداماً في الدراسات الوصفية خاصة وأنه يوفر الكثير من البيانات والمعلومات عن موضوع الدراسة .ويعتبر المسح أكثر طرق البحث الاجتماعي والتربوي استعمالاً، ذلك لأننا بواسطته نجمع وقائع ومعلومات موضوعية عن ظاهرة معينة أو حادثة مخصصة أو جماعة من الجماعات ويعرف المسح بأنه عبارة عن دراسة عامة لظاهرة موجودة في جماعة معينة وفي مكان معين وفي الوقت الحاضر، دون الخوض في تأثير الماضي والتعمق في هذا الماضي، كما أنها تدرس الظواهر كما هي دون تدخل الباحث فيها والتأثير على مجرياتها .وفي المسح الاجتماعي يتم جمع تدخل الباحث فيها والتأثير على مجرياتها .وفي المسح الاجتماعي يتم جمع بيانات مقننة من مجتمع البحث، وتعد الاستبيان والمقابلات المقننة أكثر الأساليب استخداماً في تنفيذ المسوح الاجتماعية .

وعلى العموم فإن التعاريف المتعلقة بالمسح الاجتماعي كافة تتفق على أن المسح الاجتماعي عبارة عن:

1-دراسة عملية للظواهر الاجتماعية الموجودة في جماعة معينة وفي مكان معين.

2-إنه ينصب على الظواهر الحالية، إذ أنه يتناول أشياء موجودة بالفعل وقت إجراء المسح وليست في فترة ماضية.

3-إنه يسعى إلى تعميم النتائج للإستفادة منها في وضع الخطط والبرامج لإجراء الإصلاح الاجتماعي.

والمسوح الإجتماعية **نوعين رئيسيين،** هما :المسح الشامل حيث تجمع معلومات شاملة حول جوانب الظاهرة المدروسة من جميع وحدات البحث سواء أكانت افراداً أو جماعات .والمسح بالعينة، وهو أكثر استخداماً وشيوعاً من المسح الشامل، وذلك لقلة تكاليفه نسبياً، ولإمكانية الحصول على نتائج ممثلة، أي يمكن تعميمها على جميع وحدات مجتمع الدراسة .والباحث في هذا النوع يكتفي بدراسة عدد محدود من الحالات أو المفردات في حدود الوقت والجهد والإمكانيات المتوفرة لدى الباحث.

ولدراسات المسح الاجتماعي **ميزة أساسية،** كونها تمثل أسلوباً ناجحاً في دراسة الظواهر والأحداث الاجتماعية التي يمكن جمع معلومات وبيانات نوعية وكمية عنها، وفي كونها وسيلة لقياس أو إحصاء الواقع لوضع الخطط وتطويرها.

<u>خطوات المسح الاجتماعي:</u>

فالمسح الاجتماعي كغيره من مناهج البحث العلمي والاجتماعي، يسير في خطوات أساسية كما يلي:

1-تحديد مشكلة البحث.

2-تجديد الأهداف العامة والخاصة لموضوع البحث.

3-تجميع وتحديد البيانات التي يتطلها موضوع الدراسة.

4-الأداة البحثية الملائمة لجمع هذه البيانات، وعادة ما يستخدم في الذي قد يعتمد على إعداد Interview المسح الاجتماعي أسلوب المقابلة كأداة لجمع البيانات . استخدام الاستبيان، كما تستخدم الملاحظةObservation

5-الاستفادة من الإحصاءات والسجلات الرسمية.

6-تصنيف البيانات وتفريغها وتحليلها.

7-استخلاص النتائج.

أما عيوب المسح الاجتماعي فهي:

1-إن الدراسات المسحية تهتم بالشمول أكثر مما تهتم بالعمق، فالباحث الذي يقوم بعملية المسح الاجتماعي يهتم بدراسة أراء الناس ومواقفهم المعلنة دون أن يهتم بالتحليل أو بالتعميق في دراسة العوامل التي تؤدي إلى هذه الآراء والمواقف.

2-يرى بعض الباحثين إن الدراسات المسحية لا تعطي الباحث مرونة كافية لاستيعاب الظاهرة، كما قد يجدها في الواقع، وذلك لأن الباحث يعد مسبقاً أدوات بحثية كالاستبيان مثلاً قبل أن يبدأ عملية المسح، وبذلك يقيد نفسه في أسئلة الاستبيان فقط، مما قد يؤدي إلى إغفال بعض المعلومات التي يستوعبها الاستبيان، غير أن هذا النقد يمكن أن تقل أهميته كثيراً أذا كان الباحث قد أعد استبيانه بعد فترة كافية من الدراسة والملاحظة، كما يستطيع الباحث أن يعزز المعلومات التي يحصل عليها من الاستبيان باستخدام أدوات أخرى كالمقابلة أو الملاحظة.

3-من عيوب المسح الاجتماعي أيضاً الخطأ الذي يقع فيه الباحث أثناء اختيار العينة، ومعنى هذا أنه لو حدث خطأ في اختيار العينة، فإن هذا الخطأ سيلحق بالمسح كله ويؤثر عليه ويترتب على ذلك أن أي تفسير للبيانات التي تتوافر في هذا المسح يجب أن يقوم على أساس هذا الخطأ في اختيار العينة وكذلك على الصدفة الناتجة عن ذلك.

4-وجود خطأ التحيز في توزيع استمارة الاستبيان سواء كان تحيز امن قبل الباحث أو المبحوث.

ومثال على الدراسة المسحية، إذا أرادت أحد رؤساء الاقسام العلمية في جامعة ما، معرفة) تحديد (الأساتذة الذين سيحالون للتقاعد في السنة القادمة وفق قانون الخدمة الجامعية، عليه آنذاك أن يقوم بمسح شامل لسجلات الذاتية في قسمه، ويلاحظ متغير السن، ويعرف الأشخاص الذين سيبلغون سنه التقاعد خلال السنة القادمة.

المنهج المقارن

لم يحتل المنهج المقارن مكانة في علم الإجتماع كما حدده دوركايم ومن بعده "فليتشر" . ويعود ذلك في جزء منه إلى بزوغ علم الاجتماع التأويلي الذي لا يسعى إلى تفسير الفعل الاجتماعي في ضوء الأسباب الخارجية، هذا بالإضافة إلى أن علماء الاجتماع أصبحوا أكثر وعياً بمشكلات المقارنة الإحصائية.

إن تسارع الاهتمام المتزايد بالعولمة أو علم الاجتماع العالمي أدى مرة ثانية إلى زيادة شعور علماء الاجتماع بأهمية المقارنة الاجتماعية .إن تصنيف المجتمعات إلى تقليدية، وحديثة، وما بعد الحديثة يشكل أساساً عاماً ومفيداً لهذا النوع من مقارنة المجتمعات، ويستخدمه تقريباً عدد كبير من علماء الإجتماع.

يركز هذا المنهج من البحوث على مقارنة جوانب التشابه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية لغرض اكتشاف أي العوامل أو الظروف التي تصاحب حدوث ظاهرة اجتماعية أو ممارسة معينة، على أن تكون المقارنة في حقبة زمنية واحدة، أو تقوم بمقارنة ظاهرة واحدة في نفس المجتمع في فترة زمنية مختلفة لمعرفة تطورها وتغيرها، ولكي يحقق الباحث الاجتماعي أهدافه العلمية بتطبيق منهج الدراسات المقارنة عليه أن يقوم بتصنيف دقيق للثقافات الإنسانية للمجتمعات المشمولة بالدراسة، ثم تنظيم مشاهداته عن هذه الثقافات .وأخيراً تصنيف المادة التي انتهى من جمعها لغرض التسجيل والتحليل.

منهج دراسة الحالة

مفهوم دراسة الحالة:

يختلف علماء المناهج في تحديد دراسة الحالة، هل هي منهج ضمن مناهج البحث أم أنها إحدى الطرق التي عن طريقها يتم إجراء بحث معين. أو يمكن اعتبارها إحدى أدوات جمع البيانات .يذهب قاموس علم الاجتماع إلى أن دراسة الحالة منهج في البحث ، Fairchildالذي وضعه **فايرشايلد** الاجتماعي عن طريقه يمكن جمع البيانات ودراستها، بحيث يمكن رسم صورة كلية لوحدة معينة في علاقاتها المتنوعة وأوضاعها الثقافية.

ودراسة الحالة هي الدراسة التي تهتم بحالة فرد أو جماعة أو مؤسسة ولا يؤخذ بهذه الطريقة جميع تخصيصات علم الاجتماع، فعلم الإجرام وعلم النفس الاجتماعي يأخذان بها، بينما علم السكان أو علم الاجتماع الحضري لا يأخذان به .ويستعمل منهج دراسة الحالة بكثرة في ميداني الطب وعلم النفس، أو دراسة مجموعات صغيرة من أفراد المؤسسات الاصلاحية كالسجون وإصلاحيات الأحداث ودور الرعاية، وكما يمكن الجمع بين الدراسة الكمية والكيفية في هذا المنهج.

ودراسة الحالة نوع من الدراسات الوصفية، أو أسلوباً من أساليب البحث الوصفي، يزود الباحث ببيانات كمية وكيفية عن عوامل متعددة تتعلق بفرد أو مؤسسة أو أسرة أو عدد قليل من الأفراد أو نظاماً اجتماعيا وحالات محددة .وتتضمن هذه البيانات جوانب شخصية وبيئية ونفسية وغيرها، مما يمكن الباحث من إجراء وصف تفصيلي متعمق للحالة موضوع الدراسة.

وإذا كان موضوع الدراسة منصباً على المؤسسات الاجتماعية، فإن كل مؤسسة اجتماعية تعتبر بمثابة حالة، بينما يصبح الأفراد مجرد أجزاء أو مواقف أو عوامل داخلة في تكوين الحالة.

ومن أدوات هذا المنهج أو إجراءاتها كما هو الحال في مناهج البحث الأخرى، المقابلة الشخصية ودراسة الوثائق والسجلات الرسمية والمذكرات الشخصية وتقارير الأطباء وملاحظات الجهاز الإصلاحي داخل المؤسسة وهوايات المبحوثين، وكذلك الملاحظة، الفحوص والاختبارات .هذه الإجراءات هي متطلبات أو تقنيات دراسة الحالة.

مثال:

إذا قام أحد الباحثين بدراسة وضع السجناء في إحدى السجون في كردستان -العراق، فالباحث في هذه الدراسة يصعب عليه دراسة المجرمين عن طريقة المقابلة أو الاستبيان .بل تسهل دراسة حالات من المجرمين عن طريقة الملاحظة بالمعايشة مع الاعتماد على الوثائق والسجلات الرسمية الصادرة من دوائر الشرطة أو السجن أو المستشفى .وفي هذه الحالة يركز الباحث على الجانب الاجتماعي والنفسي وأسباب انحراف أو احتراف المبحوث لهذا السلوك الجرمي.

وتستلزم دراسة الحالة أحياناً اشتراك فريق من تخصصات مختلفة، لكل فرد في الفريق دور يقوم به ويجمع من خلال هذا الدور بيانات عن الحالة. وتتم مناقشة البيانات الواردة من كل عضو في الفريق في اجتماع ويخرج هذا المؤتمر بتوصيات (Case Conference)يسمى مؤتمر الحالة.

مثال:

لدراسة حالة انخفاض المستوى التعليمي لطلبة قسم علم الاجتماع في جامعة صلاح الدين، من المفترض أن يشترك في هذه الدراسة رئيس القسم ومقرر القسم وولي الأمر والمرشد .وقد يكون هناك أدوار أخرى للأساتذة أخرين في القسم .ولكل منهم دور محدد وواضح يقوم به بالتعاون مع فريق الحالة للوصول إلى علاج لتلك المشكلة ومتابعة هذا العلاج المقترح والحكم على مدى فاعليته، لذا فإن دراسة الحالة قد تكون شكلاً من أشكال بحوث التقويم من خلال تنوع مصادر المعلومات وشمولية المعالجة.

<u>خطوات دراسة الحالة</u>

1-تحديد مشكلة الدراسة أو نوع السلوك المطلوب دراسته.

2-تحديد المفاهيم والفروض العلمية والتأكد من توفر البيانات

3-إختبار العينة المماثلة للحالة التي يقوم بدراستها.

4-تحديد وسائل جمع البيانات كالملاحظة والمقابلة والوثائق الشخصية كتواريخ الحياة والسير والمفكرات ... الخ.

5-تدريب جامعي البيانات.

6-جمع البيانات وتسجيلها وتحليلها

7-استخلاص النتائج وتعميمها.

<u>أما أهداف دراسة الحالة فهي:</u>

أ- **<u>الأهداف المباشرة:</u>**

1-فهم وتقييم شخصية الفرد.

2-التعرف على نمط الحياة الذي يعيش فيه وبيئته الاجتماعية.

3-الكشف عن الظروف التي ظهرت فيها المشكلة لأن كل موقف يحتوي على عوامل مختلفة تتفاعل مع بعضها بنسب متفاوتة مما يخلق الموقف الذي يكزن الفرد فيه.

أما الأهداف غير المباشرة لمنهج دراسة الحالة فهي:

1-التعرف على السمات المشتركة لبعض المشكلات النوعية في مجالات خدمة الفرد.

2-إختيار الفروق بعد دراسة عدد معين من الحالات تمثل تمثيلاً مناسباً الفئة التي أخذت منها، وتعديلها أو تدعيمها وفقاً لنتائج الاختبارات.

3-تحديد المعيار الأمثل لأساليب القابلة والاتصال بالمصادر المختلفة من واقع الحالات المتطرفة إيجابياً وسلبياً والحالات العادية على السواء.

-الانتقادات الموجهة الى منهج دراسة الحالة:

على الرغم من أهمية طريقة دراسة الحالة في البحث الاجتماعي .الا أن هذه الطريقة قد وجهت إليها عدة اعتراضات تضع حدوداً معينة، لاستخدامها في البحوث الاجتماعية .ويمكن حصر أهم العيوب والانتقادات التي تؤخذ على منهج دراسة الحالة كما يلي:

1-يوجه النقد إلى الأدوات المستخدمة في جمع البيانات كتاريخ الحياة وغيرها من السجلات الشخصية ومن الممكن الاعتماد على مصادر رسمية أو شخصية أخرى للتأكد من صدق البيانات وموضوعيتها كالتقارير والإحصاءات الرسمية والسجلات الموثوق بصحتها.

2-صعوبة تعميم النتائج في منهج دراسة الحالة، لان طبيعة الحالة إنفرادية فمن الصعب أن تكون أساساً للتعميم .فكل حالة تختلف عن غيرها من الحالات.

-3 عدم صحة البيانات المجمعة أحياناً، لان الشخص المبحوث قد يتعاطف مع الباحث بالمعلومات التي يرى أنها ترضي القائم على البحث وليس بالضرورة كما

حدثت .وقد يندفع إلى المبالغة والتركيز على الجوانب التي تدعم موقفه ويتجنب الجوانب التي تتناقض معه.

وعلى كل حال فمعظم هذه الانتقادات، لا يختص بها منهج دراسة الحالة من دون مناهج البحث الاجتماعي الأخرى، رغم ذلك فقد أثبتت دراسة الحالة في الوقت الحاضر فعاليتها وقيمتها في مجالات متعددة كالتعليم والاجتماع، وما يبدو مؤكداً أننا نتمكن من رؤية العلاقة بين العوامل المعزولة بصورة أكثر وضوحاً من مجرد التحليل الكمي وأخيراً، فان طريقة دراسة الحالة هي مدخل ينظر إلى أي وحدة اجتماعية نظرة كلية شاملة تستوعب تطور هذه الوحدة ونموها، سواء كانت تلك الوحدة شخصاً أو أسرة ...الخ.، وتعتمد هذه الطريقة لتحقيق تلك النظرة الكلية على جمع أكبر عدد من المعلومات والبيانات عن الوحدة المدروسة للوصول إلى النتائج المتعمقة للوحدة .كما يمكن أن يصل الباحث إلى تعميمات تنطبق على الحالات المشابهة من خلال دراسة عدد من الحالات وتجميع المعلومات عنها ووضع فرضياته واختبارها والتوصل إلى النتائج المتعلقة بشأنها.

تحليـــل النـص

" إن الطريقة التي يتبعها علماء الاجتماع بصفة عامة في تفسير الظواهر هي قبل كل شيئ طريقة غائية ونفسية في نفس الوقت ...ففي الواقع اذا لم يكن المجتمع شيئا اخر سوى مجموعة الوسائل التي يحددها الناس لتحقيق غايات معينة فليس من الممكن الا ان تكون هذه الغايات فردية و ذلك لانه لا يمكن ان يسبق المجتمع في هذه الحال سوى الافراد و هكذا يصبح الفرد ذلك المنبع الذي تفيض منه المعاني و الحاجات التي كانت سببا في نشاة المجتمع...و حينئذ فليس من الممكن الا ان تكون القوانين الاجتماعية تتمة للقوانين الشديدة العموم التي يحتوي عليها علم النفس ... و لكن ليس من الممكن تطبيق هذه الطريقة على الظواهر الاجتماعية الا اذا اردنا تشويه طبيعتها...فلما كانت الخاصة الجوهرية التي تمتاز بها هذه الظواهر تنحصر في القيام بضغط خارجي على ضمائر الافراد كان ذالك دليلا على انها ليست وليدة هذه الضمائر و بناءا على ذلك فليس علم الاجتماع تكملة لعلم النفس و

ذلك لان مقدرة الظواهر على القهر دليل على انها تعبر عن طبيعة اخرى مخالفة لطبيعتنا الفردية...و هكذا ينتهي بنا الامر الى تقرير القاعدة الاتية:

يجب البحث عن السبب في وجود احدى الظواهر الاجتماعية بين الظواهر الاجتماعية السابقة لا بين الحالات النفسية التي تمر بشعور الفرد.

إن الظاهرة الاجتماعية هي كل ضرب من السلوك ثابت كان ام غير ثابت يمكن ان يباشر نوعا من القهر الخارجي على الأفراد أو هي كل سلوك يعم في المجتمع بأسره و كان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية...و مهما يكن من شيء فان الظواهر الاجتماعية أشياء و يجب أن تدرس على أنها أشياء و إذا أردنا البرهنة على صدق هذه القضية ...يكفي في هذه الحال أن نعلم ان هذه الظواهر هي المادة الوحيدة التي يمكن اتخاذها موضوعا لعلم الاجتماع فان الشيء هو حقيقة ما يقع تحت ملاحظتنا ...فاذا قلنا حينئذ بأن الظواهر الاجتماعية اشياء خارجية فانا لا نفعل سوى ان نتخذ حيالها مسلكا علميا يتفق مع طبيعتها".

اميل دوركايم قواعد المنهج في علم الاجتماع: ص

اميل دوركايم(1858– 1917) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي من عائلة يهودية له العديد من المؤلفات من أهمها:

- De la division de travail social 1893 (تقسيم العمل الاجتماعي)
- Les règles de la méthode sociologique قواعد المنهج السوسيولوجي
- Le suicide الانتحار
- Les formes élémentaires de la vie religieuse الأشكال الأولية للحياة الدينية

<u>السياق الفكري والعلمي والفلسفي للنص.</u>

سبق و اشرنا إلى القناعة التي سادت التيار الوضعي في القرن التاسع عشر و التي مفادها أن العلوم الإنسانية ينبغي لها أن تحذو حذو العلوم الطبيعية في

منهاجها التجريبي الموضوعي العلمي لأنه ليس هناك ما يبرر التمييز بين نموذجين للعلم احدهما للموضوعات الإنسانية و الأخر للموضوعات الطبيعية.فالعلم هو العلم .و الظواهر الإنسانية هي الأخرى وقائع و الواقعة هي المفردة الأساسية التي تحدثنا بها الطبيعة عن نفسها في كل جوانبها المادية و الإنسانية و هي ما تتبدى لنا كشيء خارجي مستقل عن إدراكنا تقع عليه حواسنا و لها من الوجود و العلامات ما يمكن الاتفاق عليه بالأساليب العلمية و المنهجية.

في هذا الإطار و في حدود هذه القناعة ندرج فكر عالم الاجتماع الفرنسي اميل دوركايم(1858–1917)كما هو واضح من خلال مؤلفه المنهجي الموسوم ب:"قواعد المنهج في علم الاجتماع".ففي هذا الكتاب نلتمس بوضوح تأثيرات الفلسفة الوضعية الكونتية .ذلك إن تعريف دوركايم للظاهرة الاجتماعية على أنها شيء هو تأكيد يعني صراحة محاكاة العلوم الطبيعية و تطبيق منهاجها.هذا من جهة

نجد كذلك ان دوركايم كان محكوما بهاجس تأسيس علم اجتماع مستقل بموضوعه و خصوصا بمنهجه عن بقية العلوم لذلك حاول وضع فواصل و حدود خصوصا بين السيكولوجيا و السوسيولوجيا.

شيئ آخر خر يظهر لنا من خلال مؤلفه المنهجي و هو ان دوركايم من مؤسسي **النظرية البنائية الوظيفية** التي يشكل مفهوم **النسق** أساسا مركزيا فيها . فهو يتفق مع اوغست كونت و هربرت سبنسر حول مبدأ **المماثلة العضوية** أي تشبيه المجتمع بالكائن الحي .فكما أن هذا الأخير يحيا بشكل طبيعي عندما تقوم أعضاؤه كلها بعملها في تكامل و انسجام فكذلك فيما يخص النظم الاجتماعية فهي الأخرى بنيات تحقق المتطلبات الضرورية اللازمة لبقاء المجتمع و استمراره.

فالنظم الاقتصادية تؤدي وظائف الإنتاج و التوجيه و الأسرة تؤدي وظائف الإنتاج البشري و التنشئة الاجتماعية و النظام السياسي يقوم بحماية المواطنين من الاعتداءات في الداخل و الخارج و الدين يلبي وظائف التماسك الاجتماعي و التضامن ...الخ.

و لكـون دوركـايم يفهـم هـذه الـنظم بهـذا الشـكل الـذي يـؤدي وظائفـه بتكامـل فهـو مـن مؤسسي الاتجاه الوظيفي البنائي.

إشكالية النــص.

هـل يمكـن دراســة الظــاهرة الاجتماعيــة دراســة علميــة موضــوعية علــى غـرار الظـواهر الطبيعية؟

بصيغة أخرى:

هل يمكن تطبيق المنهج التجريبي العلمي في دراسة الظاهرة الاجتماعية؟

موقــف صاحب النص

نعـم يمكـن ذلـك إذا مـا اعتبرنـا الظـاهرة الاجتماعيـة "**كشــيء**" يمكـن رصـده و ملاحظتـه و قياسه.

الحجـــج

-المجتمـع حسـب دوركـايم هـو المركـب و الكـل الـذي ينـتج مـن اجتمـاع الأفـراد و هـذا الكـل،على الـرغم مـن ذلـك، لـيس مجـرد مجمـوع الأجـزاء بـل هـو شـيئا خـر لـه شخصـيته التـي تختلـف خواصـها عـن الخـواص التـي تنطـوي عليهـا الأجـزاء الداخلـة فـي تركيبـه.و هذه الخواص التي تسمح لنا برصد الظاهرة الاجتماعية كشيء هي :

- فـي اسـتطاعة المجتمـع أن يفـرض علـى الأفـراد ضـروبا مـن أسـلوك و التفكيـر وأكثـر من ذلك يخلع عليها طابع القداسة

- الخاصـية البينـة التـي تتميـز بهـا الظـاهرة الاجتماعيـة هـي خاصـية **القهــر** ،فظـاهرة الاجتماع حسب دوركايم هي مصدر جميع ألوان القهر الأخرى فنحن مثلا :

- مضـطرون بسـبب مولـدنا أن ننتمـي إلـى شـعب معـين، نحـن لـم نختـر نـوع التربيـة التي نتلقاها و لا الأعراف و التقاليد التي نلتزم بها.

-الظواهر الاجتماعية مستقلة توجد خارج شعور الأفراد.

-الظواهر الاجتماعية تمتز بالعمومية فهي تفرض على الجميع دون استثناء

– انطلاقا من هذه الخصائص يضع دوركايم خطوات علمية منهجية لرصد الظاهرة الاجتماعية حددها بترتيب في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع"(العودة إلى الكتاب و محاولة تلخيص هذه القواعد بالإضافة إلى ما قلناه)

النـــقد:

- قد نسلم مع دوركايم بان الوقائع الاجتماعية ينبغي أن ندرسها كأشياء و لكن ليس معنى هذا أن نستخلص كل ما يترتب على كلمة شيء من نتائج و أن نطابق بين أسلوب الدراسة للوقائع الطبيعية كأشياء و بين تصورها ككيانات مستقلة عن البشر و الأفراد لا يملكون إزاءها تغيير طبيعتها كشيء مستقل عنهم.
- الظاهرة الاجتماعية مهما اعتبرناها كشيء إلا أنها تستعصي على ذلك لأنها ظاهر إنسانية أولا و قبل كل شيء تمتاز بالوعي و حرية الإرادة.
- العلاقة بين الفرد و المجتمع كما صورها دوركايم هي علاقة خضوع و سيطرة و دور الأفراد سلبي تماما و هذه الفكرة من الأفكار المضادة للتغيير.

الموضوع الرابع

الفهم(محاولة لإيجاد منهج ملائم لخصائص الظاهرة الإنسانية بدل المنهج التجريبي الخاص بالظواهر الطبيعية)

معطيات و مفاهيم أولية.

- ينطلق بعض المفكرين(دلتاي و ماكس فيبر مثلا..) من الإقرار باختلاف موضوع العلوم الإنسانية و الذي هو الظاهرة الإنسانية عن موضوع العلوم الطبيعية الأمر الذي جعلهم يؤكدون على اعتبار المنهج أيا كان هو أمر لاحق و تابع لموضوع الدراسة و ليس ينبغي ان تعطى له الأولوية على حساب خصائص الظاهرة المدروسة.
- يؤكد أصحاب هذا الاتجاه كذلك على أن الطبيعة بأشيائها ليست هي الإنسان و ما يصلح منهجا لتعليل وقائعها لا يصلح أسلوبا لتفهم ماهية الإنسان لان الذي يفرق هذه العلوم عن تلك: أوله الطبيعة المتفردة للظاهرة الإنسانية و ثانيها العلاقة الخاصة بين الباحث و موضوع بحثه ففي الموقف الوضعي السابق نجد افتراضا مضمرا أو معلنا أحيانا هو التسوية بين الإنسان و بين موضوعات الطبيعة أما موقف هذا الاتجاه فينكر هذا الفرض و يبدله بما يناقضه.

- هذا الاتجاه له تصور خاص للإنسان يحرص على النفاذ إلى داخل الظاهرة الإنسانية أو بحسب تعبير عثمان أمين "حوانيته" فالوجود الإنساني أو الظاهرة الإنسانية في كافة مستوياتها تتعين **بالوعي** الذي يقصد إلى **المعنى** و يهدف إلى **القيمة** من خلا **التجربة المعاشة expérience vécue** لها تاريخيتها الخاصة المتفردة في الزمان و المكان.
- لذلك على الباحث يستنبط طرقه التي تيسر له النفاذ إلى هذا الداخل الحي لبلوغ الموضوعية عبر **تفهّم** مباشر يمضي بالباحث إلى الأساس الصلب الذي يقيم عليه تفسيراته و تأويلاته للظاهرة الإنسانية و الاجتماعية.

مصطلح الفهم

حتى نزيل كل سوء فهم لمصطلح الفهم كما يقصده **دلثاي** و أصحابه علينا أن نؤكد انه لا يقصد بالفهم المعنى الشائع عندما نفهم مثلا كلمة من الكلمات أو كيفية اشتغال جهاز معين أو نفهم كيف نصنع شطيرة "بيتزا" مثلا و من ثم ينطبق الفهم على كل عملية معرفية

دلتاي لا يقصد هذا المعنى تحديدا و إنما هو يستخدم المصطلح بمعنى محدد هو تلك " البصيرة التي ننفذ من خلالها إلى الحياة العقلية للآخرين ".و يؤسس أصحاب نظرية الفهم استخدامهم للمصطلح على ذلك المعنى الذي يقصره على السياق الإنساني .

- الفهم هو إعادة اكتشاف الأنا في الغير.
- يضيف **صلاح قنصوة** إلى هذا التعريف إضافة جيدة فيقول :"نفضل منهج **التفهّم** بدل الفهم لان الفهم يشير إلى الغاية التي تهدف إليها كل المناهج و العلوم كما ان الكلمة العربية "تفهم" تتضمن لونا من المشاركة و التواصل و التواد و هو ما يزكيها .

–أصحاب هذا الاتجاه يعلقون أهمية قصوى على العلاقة بين الباحث و موضوع بحثه و يعملون من خلال ذلك على إرساء منهج خاص بالعلوم الإنسانية.

واجب منزلي: حاول بالاستعانة بكتاب *"منهج جديد للدراسات الإنسانية " لريكمان ترجمة علي عبد المعطي* تحليل النص الموجود ادناه، وذلك بعد فهم وشرح مايلي:

الشروط الابستيمولوجية للفهم:

- الألفة بالطبيعة الإنسانية
- معرفة الخلفية الثقافية
- الوعي بالسياق الذي حدث فيه السلوك.

النـــــــــــص

....**الفهم** ...تلك العملية المعرفية التي نتعرف من خلالها على أفكار و مشاعر و مطامح الكائنات الإنسانية الأخرى ...و الفهم مألوف لدينا منذ نعومة أظفارنا، فهو جزء من حياتنا اليومية ...و تنبع ضرورة الفهم كمدخل متميز لدراسة الكائنات الإنسانية من حقيقة إن العالم الإنساني مفعم بالمعاني بصورة لا تتحقق في العالم الطبيعي ...يعني ان السلوك الإنساني مصحوب بالوعي و مدعم بالأهداف...فوراء الشخصية التاريخية و الرقصات الطقسية للقبيلة البدائية و ممارسات رجال النقابات او رعشات العصابيين، وراء ذلك كله تكمن أفكار و معتقدات و مشاعر تكسب السلوك معناه، و مهمة المؤرخ و عالم الاجتماع و الانثروبولوجي الاجتماعي و عالم النفس لا تقف عند وصف هذا السلوك و إنما عليهم أيضا أن يكتشفوا ذلك المعنى من خلال عملية الفهم ، ويعتمد ذلك إلى حد كبير على خبرتنا الخاصة بكيفية تأثير هذه المشاعر و الأفكار في السلوك.

وثمة مفهوم رئيسي ثالث إلى جانب الفهم والمعنى هو مفهوم التعبير Expression... و التعبيرات هي المظاهر الفيزيقية للنشاط البشري و التي يدرسها الفهم ،إذ

برغم أنها وقائع فيزيقية او إحداث إلا أن التعبيرات تتميز عن الوقائع المعتادة و الأحداث بما تنطوي عليه من دلالة للعمليات العقلية .فالتنفس في ذاته ليس تعبيرا ، و لكن التقاط المرء أنفاسه عقب صدمة مفاجئة هو كذالك ...و تكشف هذه التعبيرات عن نفسها في صور مختلفة... و من ثم فان تصنيف التعبيرات يفتح افاق المناهج في الدراسات الإنسانية ....

حينما نطرح التساؤل الخاص بكيفية فهمنا للتعبيرات نصل إلى مفهوم السياق فكافة التعبيرات تظهر داخل سياق و لا تفهم إلا من خلاله...و تعد الحقيقة القائلة بان التعبيرات هي مراكز الإثارة في السياقات المتعددة هي في حد ذاتها بالغة الأهمية ، فحينما نستكشف سياقا معينا يصبح من الضروري أن نكمل مدخلنا بتتبع سياقات أخرى كذلك ، بهذه الطريقة ...نكشف عن التداخل بين مختلف فروع العلوم و نتعرف على الطرق المنطقية للتعاون فيما بينها. و الزعم بان للحياة الإنسانية معناها ، و أن هذا المعنى يتخذ له تعبيرا و انه بإمكاننا أن نفهمه حين نربط التعبيرات بالسياقات التي تظهر فيها ...بمثابة الإطار للدراسات الإنسانية.

Rickman :Understanding and the human studies
ترجمة علي عبد المعطي محمد تحت عنوان:"منهج جديد للدراسات الإنسانية".ص98...101